سلسلة التسهيل لطالب علم التأصيل.. (١)

الإجَابَةُ

على بعضِ الأَسئِلةِ وَالإِشكَالاتِ

الوَارِدَةِ فِي شَرْحِ العُثَيمِينِ رَحِمَهُ اللهُ

للأُصُولِ الثَّلاثَةِ

إجابات فضيلة الشيخ

حَامِد بن خَمِيس الجُنَيبِيّ

حفظه الله تعالى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن طالب العلم أثناء طلبه قد تعرض عليه إشكالات وأسئلة في بعض المسائل، مما يستوجب عليه سؤال أهل العلم عنها لتوضيح إجاباتها؛ وذلك حتى لا يعمل بشيئ غير واضح، أو ينقل للناس نقلا خاطئا.

ولذا رأينا أنّ من تمام التسهيل لطالب علم التأصيل أن ننقل إليه هذه الإجابات على بعض الأسئلة والإشكالات الواردة في شرح العلامة محمد العثيمين –رحمه الله، والتي قد تفضَّل بالإجابة عليها فضيلة الشيخ حامد الجنيبي –جزاه الله عنا خير الجزاء–[1].

سائلين الله أن ينفع بها وأن يتقبل منا بقبول حسن.. آمين.

[1] الشيخ حامد بن خميس الجنيبي –حفظه الله–، أحد مشايخ المدينة النبوية، من طلاب الشيخ عبد الله العبيلان، وعبد المحسن العبّاد، وعبيد الجابري، وصالح السحيمي، وترحيب الدوسري، وغيرهم، حفظهم الله جميعًا، وللشيخ –حفظه الله– تزكية من الشيخ محمد بن عبد الوهاب العقيل –حفظه الله–، سيم عرضها قريبا في موقعه –بإذن الله–.

بسم الله الرحمن الرحيم

سـ١: قال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله–: "وعلى الإنسان الحذر من الشرك أكبره وأصغره؛ فقد قال –تعالى–: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾[النساء:٤٨]". فهل هذا يعني أن الشرك الأصغر قد لا يغفره الله أيضًا؟

الجواب :

قد اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في دخول الشرك الأصغر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾، ولعلّ من أسباب الخلاف هو أنّ قوله تعالى : (أن يُشرك) هنا قُدِّرَت (أن) بأنّها مَصدريّة، فيكون المعنى : (إنّ الله لا يغفر شِركاً به)، فتكون كلمة (شركاً) نكرة. ومِن المُتقرّر في الأصول : أنّ النّكرة إذا جاءت في سياق النفي فإنها تُفيد العموم. والمعنى أنّ قولنا (شركاً) يدخل فيه كلُّ ما يُسمّى شِركاً، سواء كان أصغر أو أكبر .

وقال الآخرون : إنّ المُراد بالشرك في هذه الآية هو الشرك الأكبر دون الأصغر؛ لأنّه هو الأصل عند الإطلاق في نصوص الكتاب والسُّنّة.

واختار الأوّل : جمعٌ من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيميّة، وفيما أذكر أنّه اختيار الإمام محمد بن عبدالوهاب وتلاميذه، واختاره جمعٌ من المعاصرين منهم : العلامة ابن عثيمين، وشيخنا العلامة زيد بن محمد هادي المدخلي والعلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

ولكن لا يُفهم من ذلك أنّهم أرادوا أنّه يُخلّد في نار جهنّم، ولكن إمّا أن يُعذّب في نار جهنّم بقدر هذا الشرك الأصغر ثم يخرج، أو أنّه تكون عنده حسنات ترجح على سيِّئة الشرك الأصغر.

ويُؤكِّد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم : ((مَن لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيَه يُشرك به شيئاً دخل النار)) و لم يُفَرِّق بين الشرك الأكبر والأصغر . والله أعلى وأعلم.

***

سـ٢: قال الشيخ العثيمين –رحمه الله–: في مسألة الدعوة إلى الإسلام:

أي الدعوة إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من شريعة الله تعالى على مراتبها الثلاث أو الأربع التي ذكرها الله عز وجل في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل:الآية١٢٥]. والرابعة: قوله: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[العنكبوت:الآية٤٦] اهـ.

فلم تتضح لنا المرتبة الرابعة التي وجّه –رحمه الله– أنها في في قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

الجواب :

لا بُدَّ أولا من توضيح المراد بمراتب الدعوة، فإنَّ مراتب الدعوة تكون بالتَّسلسل في دعوة المدعو ، وذلك يكون على الترتيب المذكور في آية النحل : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ؛ والذي يظهر بعد التَّأمُّل في آية النحل ، وآية العنكبوت : ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أنَّ مراتب الدعوة ثلاث مراتب فقط ، وليست أربعاً ، وذلك أنَّ قوله تعالى : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ} معناه : ادع إلى سبيل ربك بالكتاب والسُّنَّة ، وقوله : {وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}: تكون بالترهيب والترغيب الوارد في الكتاب والسُّنَّة ، وليس المراد من قوله تعالى : {الْحَسَنَةِ} : الآيات التي فيها الترغيب دون الآيات التي فيها الترهيب ، ولكن

المراد بالترغيب والترهيب الوارد في الكتاب والسنَّة ، ولذلك قال بعد ذلك : وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}: وهو أنَّ مَن لم ينتفع بالموعظة الحسنة ، فإنَّه يُشرع للإنسان أن يُجادله ولكن {بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} فيكون رفيقاً في الخطاب .

ثم بعد ذلك إذا لم ينتفع المدعو بالترغيب والترهيب ، ثم بالمجادلة ، فإنَّه يُنتقل معه إلى آخر المراتب ، وهي ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ، فإنَّ مَن لم ينتفع بالجدال بالتي هي أحسن ، فإنَّه يُشرَع في حقِّه أن يُجادل بالشِّدَّة والغلظة كما هو الحال مع أهل البدع والأهواء الذين لا يستجيبون للكتاب والسُّنَّة أو مع أهل المعاصي الذين لا يستجيبون أيضاً، أو يُنتقل معه إلى المدافعة والمُحاربة إن كان جُرمُه الذي ارتكبه يُبيح قتاله وقتله ، كما هو الحال مع الخوارج وأهل البدع المكفِّرة وغيرهم ، كما حصل مع الجعد بن درهم ، ومع غيلان الدمشقي ، والجهم بن صفوان وغيرهم من رؤوس الضلال .

والله أعلى وأعلم.

***

سـ٣: ما هو ضابط خوف السر؟ حيث أنه قد يخشى إنسان من آخر يعلم قدرته على البطش به، فهو في داخل نفسه يخشى بطشه. فهل هذا يدخل ضمن خوف السر؟

الجواب:

أنّ هذه المسألة مبناها على أمرٍ مهم جداً ، وهو أنّ العبوديّة قِوامُها على ثلاثة أمور :

الأمر الأول : المحبّة .

الأمر الثاني : الخوف .

الأمر الثالث : الرجاء .

والتوحيد عند الإنسان بمثابة جسد الطائر ، والمحبّة هي رأس الطائر ، والخوف والرجاء هما الجناحان.

وكلّما نقصت محبّة العبد لله تعالى ، نقص توحيده لله عزّ وجل ، وكذلك الحال مع الخوف والرجاء.

ولكنّ المؤمن الصادق يجمع بين كمال المحبة ، وكمال الخوف من الله تعالى ، وكمال الرجاء له عزّ وجل .

ولذلك قال الله تعالى عن رسله وأنبيائه الكرام : {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠].

وأخبر الله سبحانه وتعالى أنّ التوراة جعل فيها الهدى والرحمة للذين يخافون الله عز وجل فقال : {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} [الأعراف: ١٥٤].

وقال في الرجاء : {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ} [النساء: ١٠٤].

وقال في المحبة : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: ١٦٥].

وبقي بيان ما متى تكون هذه الثلاث توحيداً ؟

ومتى تكون شركاً بالله عز وجل ؟

فنقول: إنّ المحبّة تكون توحيداً إذا جُمِعَ إليها الذُّلُّ الذي يقتضي الرِّهبة من المحبوب والرِّغبة فيما عند المحبوب ، مع إلزام النَّفس بطاعة أمر المحبوب واجتناب نهيه .

ولذلك صحَّ في الحديث : ((ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ...)) الحديث

وأما الخوف : فيكون شِركاً في أحد حالين :

- إذا كان خوفاً من المخلوق بالسِّرِّ ، كما يحصل عند المتصوِّفة والرافضة ونحوهم من الخوف من الأولياء المقبورين أن يُصيبوهم بسوء أو مكروه .

- أو كان خوفاً أن يُصيبَه بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، كالخوف من أن يقطعوا عليهم رزقاً يُطلب من الله تعالى ، ونحو ذلك .

والرِّجاء يكون شركاً :

إذا كان فيه من التسليم بأنّ المخلوق بيده أن يجلب إليهم من المصالح ما لا يستطيعُه إلا الله .

والله أعلم .

***

س٤: أورد الشيخ رحمه الله في مسألة مساكنة الكافر قوله صلى الله عليه وسلم: ((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا : يا رسول الله! ولِمَ؟ قال:((لا تراءى نارهما)). فما معنى هذه العبارة؟

الجواب:

هذا الحديث اختلف في صحته أهل العلم ، وأطال في تخريجه العلامة الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء ورجَّح صِحَّته.

والمعنى : أنَّ المسلم يجب عليه البُعد عن مُساكنة الكفَّار ، بحيث أنَّه لو أَوْقَد ناراً باللَّيل في مكان ، وأوقد الكافر ناراً بالليل في مكان آخر ، فإنَّه يجب أن يكون المسلم بعيداً عن الكافر بحيث أنه لا يرى كلٌّ أحدٍ منهما نار الآخر ، ومعلوم أنَّ النار إذا أُوقِدت بالليل فإنَّها تُرى من مكان بعيد ، وقد نسب الرُّؤية فيه إلى النار ، وهو أبلغ في المُراد .

وليس المُراد هنا هو تحديد المسافة بحيث لا يرى كلٌّ منهما الآخر ، بل المُراد هو البُعد عن مساكنة الكُفَّار قدر المُستطاع ، وأنصح لمزيد من البيان بمراجعة ما قاله أئمة الدعوة في الدرر السنية ، وفتاوى الشيخ ابن باز ، وفتاوى الشيخ ابن عثيمين ، والألباني ، وغيرهم.

والله أعلى وأعلم.

***

سـ٥: ذكر الشارح –رحمه الله– أن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم تقوى بدراسة سيرته. نرجو منكم –أحسن الله إليكم– دلالتنا على أنفع كتب في السيرة نقوي بها معرفتنا بالنبي صلى الله عليه وسلم.

الجواب:

فيما أعلم حتى هذه الساعة أنّ من أفضل الكتب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلّم: كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ، وقد اختصره الإمام العلامة محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى .

ثم هنالك كتاب أنصح بالقراءة والاستفادة منه ، وهو كتاب (الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم) في مجلد واحد، للدكتور محمد محمد السلفي، ولا أعرف مؤلفه ، ولكنه جمع مادّة طيّبة إن شاء الله تعالى، والكتاب مطبوع في دار الداعي للنشر والتوزيع بالرياض ، وفيما أذكر أنني رأيتُ منه نسخة في المكتبة السلفية بالمدينة. وهو كتاب قَيِّم إن شاء الله تعالى .

***

- استشكل علينا ما أورده الشيخ العثيمين –رحمه الله– من أنّ الناس صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إرسالًا دون إمام، فالمعلوم أن السنة في الصلاة على الميت أن تؤدَّى جماعة ، وعرضنا على فضيلة الشيخ حامد الجنيبي –حفظه الله– إجابة وجدناها في الشبكة، فأقرَّها –حفظه الله–.

وهي كما يلي:

أولا : ثبت في الروايات الصحيحة أن الصحابة رضوان الله عليهم صلوا صلاة الجنازة على رسول الله فرادى ، و لم يصلوها في جماعة .

عَنْ أَبِي عَسِيبٍ أَوْ أَبِي عَسِيمٍ : (أَنَّهُ شَهِدَ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالُوا : كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : ادْخُلُوا أَرْسَالًا أَرْسَالًا . قَالَ : فَكَانُوا يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ) رواه الإمام أحمد في " المسند " (٣٤/٣٦٥) طبعة مؤسسة الرسالة .

وقال المحققون في هذه الطبعة :

" إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم ، وغير صحابيه ، فلم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة ويشهد لقصة الصلاة حديث ابن عباس عند ابن ماجه (١٦٢٨) . وحديث سهل بن سعد عند البيهقي في " الدلائل " (٧/٢٥٠) وكلاهما ضعيف " انتهى.

قال ابن عبد البر رحمه الله : " وأما صلاة الناس عليه أفذاذاً – يعني : على النبي – فمجتمع عليه عند أهل السير وجماعة أهل النقل ، لا يختلفون فيه" انتهى. " التمهيد " (٢٤/٣٩٧).

ولمن أراد أن يطلع على جميع الآثار الواردة في هذا الباب فلينظر : " المصنف " لعبد الرزاق الصنعاني (٣/٤٧٣) باب كيف صلي على النبي . " المصنف " لابن أبي شيبة (١٤/٥٥٢) باب ما جاء في وفاة النبي . " البدر المنير " لابن الملقن (٥/٢٧٤-٢٧٩). " التلخيص الحبير " لابن حجر (٢/٢٩٠-٢٩١). " الخصائص الكبرى " للسيوطي (٢/٤١٢-٤١٣)

ثانيا : وقد ذكر العلماء رحمهم الله في أسباب صلاة الصحابة الجنازة على النبي فرادى أمورا كثيرة ، هي : **السبب الأول** :

قال بعض أهل العلم إن ذلك كان بسبب وصية رسول الله صحابته بالصلاة عليه فرادى ، ولكن ذلك لم يثبت بإسناد صحيح ، وإنما ورد في بعض الأحاديث الضعيفة .

يقول السهيلي رحمه الله : " هذا خصوص به ، ولا يكون هذا الفعل إلا عن توقيف ، وكذلك روي أنه أوصى بذلك ، ذكره الطبري مسندا .

ووجه الفقه فيه أن الله تبارك وتعالى افترض الصلاة عليه بقوله : (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) الأحزاب/٥٦، وحكم هذه الصلاة التي تضمنتها الآية ألا تكون بإمام ، والصلاة عليه عند موته داخلة في لفظ الآية ، وهي متناولة لها وللصلاة عليه على كل حال " انتهى باختصار. " الروض الأنف " (٧/٥٩٤-٥٩٥)

السبب الثاني :

التنافس الشديد بينهم لتحصيل هذه الفضيلة – وهي إمامة الناس في الصلاة على النبي – محبة منهم له عليه الصلاة والسلام المحبة العظيمة التي لا يناسبها الإيثار والمسامحة ، وإنما التنافس والمشاححة على هذا القرب منه عليه الصلاة والسلام في آخر موقف له بينهم في الدنيا الفانية ، خاصة وأن شأن الخلافة والإمامة لم يستقر بعد ، ولم يُعرف مَن هو الذي سيتولى أمر المسلمين كي يتقدمهم في إمامة الصلاة ، فحرصوا على وحدة صف المسلمين ، وانتظار اجتماع كلمتهم على أحدهم يكون هو الإمام المقتدى به، فقد كان الخليفة هو الذي يتقدم المسلمين في الصلوات .

يقول الإمام الشافعي : " صلى الناس على رسول الله أفرادا لا يؤمهم أحد ، وذلك لعظم أمر رسول الله ، وتنافسهم في أن لا يتولى الإمامة في الصلاة عليه واحد " انتهى. " الأم " (١/٣١٤)

ويقول الإمام الرملي رحمه الله – بعد أن نقل كلام الإمام الشافعي رحمه الله – : " لأنه لم يكن قد تعين إمام يؤم القوم ، فلو تقدم واحد في الصلاة لصار مقدما في كل شيء ، وتعين للخلافة "انتهى."نهاية المحتاج " (٢/٤٨٢)

السبب الثالث :

تنافس الصحابة رضوان الله عليهم في تحصيل البركة من الصلاة عليه على وجه الانفراد والخصوصية دون أن يكون تابعا فيه لإمام ، فلم يكن أحد يقبل أن يتوسط بينه وبين النبي أحد في الصلاة لنيل الأجر والبركة .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله : " أرادوا أن يأخذ كل أحد بركته مخصوصا دون أن يكون فيها تابعا لغيره " انتهى." الجامع لأحكام القرآن " (٢٢٥/٤)

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " النبي صلى عليه الصحابة فرادى ؛ لأنهم كرهوا أن يتخذوا إماماً بين يدي الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فصاروا يأتون يصلون عليه أفراداً ، الرجال ثم النساء " انتهى.

السبب الرابع :

تعظيم النبي واحترامه ، والهيبة أن يتقدم أحد بين يديه يؤم الناس في الصلاة عليه ، فقد كان عليه الصلاة والسلام إمام الناس وقائدهم وهاديهم ، فلم يجرؤ أحد أن يقف موقفه وأن ينصب نفسه مكانه بعد وفاته وبغير إذنه عليه الصلاة والسلام ، وهذا السبب – كما ترى – يتعارض مع السببين الثاني والثالث الذين قال بهما بعض العلماء .

يقول البهوتي الحنبلي رحمه الله :" تسن الصلاة عليه – يعني على الميت – جماعة لفعله وأصحابه ، واستمر الناس عليه ، إلا على النبي ، فلم يصلوا عليه بإمام احتراما له " انتهى." شرح منتهى الإرادات " (٣٥٧/١)

هذه هي الأسباب التي يذكرها العلماء ، و لم يظهر لنا الجزم بواحد منها ، وقد تكون الأسباب كلها مجتمعة أو بعضها هي ما دعا الصحابة الكرام للصلاة عليه فردای، وقد يكون السبب في ذلك أمر آخر سوى ما ذكرنا ؛ فالله أعلم بذلك .